جامعة القدّيس يوسف في بيروت
كليّة العلوم التربويّة

التربية والتعليم في ظلال الذكاء الإصطناعي

أعزائي الطلاب

في عالم تتسارع فيه التغيرات والابتكارات بشكل غير مسبوق، وتطال الميادين والمجالات كافة، وتفرض نفسها على آليات عمل المؤسسات وأنماط أدائها، من العبث الإعتقاد بأن هذه التحولات لن تؤثر على قطاع التربية والتعليم، وتحديدًا على أساليب التعلم والتعليم. وسيكون من الحكمة ان يعاد التفكير في الأساسيات التي تقوم عليها المدرسة في ظل تسارع وتيرة الذكاء الاصطناعي بعدما أصبح التعليم أحد أهم المجالات التي تشهد إستخدامًا متزايدًا لتطبيقات هذا الذكاء وتحديدًا في مجال مساعدة الطلاب والمعلمين في مهامهم، وقد تزداد مساهمة الذكاء الاصطناعي في عملية التعليم والتعلم مع تقدم تقنياته.

وفي مواجهة عالم متغير، يشهد على إختلافه التطبيق المتزايد لأنظمة الذكاء الاصطناعي في العديد من المجالات، أقل ما يقال فيه بحسب (Morin, 2020) بأنه "مهرجان الشكوك"، من الضروري إعادة النظر في الأساسيات والتي عادة ما كانت تفرضها مراعاة الكفايات الأكاديمية في إعداد الطلاب. لكن ذلك لم يعد كافيًا، والسبب بسيط، وهو أن برامج الذكاء الاصطناعي باتت تشمل جميع نواحي الحياة، ولم تعد تقتصر على المجالات الصناعية وتقديم الخدمات، وقد فتح العلم أمامها آفاقًا واسعة لتطوير استخداماتها في المستقبل لدرجة أنها أصبحت تنافس قدراتنا البشرية. أمام هذا الواقع ماذا علينا أن نفعل؟ وما هي الاستراتيجيات التي علينا اعتمادها؟

إن الإشكالية اليوم هي في كيفية تعامل القطاع التربوي مع أدوات الذكاء الاصطناعي، فهذه الأدوات، وآخرها روبوت المحادثة ChatGPT، قد أحدثت اضطرابًا لا يمكن تجاهله، ووضعت المجتمع التربوي أمام خيار من إثنين، إما الإنبهار أمامها وإما القلق منها. ولكننا كتربويين إذا دعونا للخوف من هذه الأدوات، وإلى حظر استعمالها بشكل كامل في التعليم، فإننا بذلك نكون كمن يتجاهل حقيقة أنها أصبحت متاحة لجميع الطلاب وبنسخ مجانية ومتعددة اللغات، كما هو الحال بالنسبة ل ChatGPT، ونكون كمن يشن حربًا مصيرها الفشل المحتوم. هذه النتيجة سنقع على مثيل لها لو دعونا إلى الحماسة المفرطة في التعامل مع أدوات الذكاء الاصطناعي. فالخوف والحماسة سيان، لأن المسألة ليست في المفاضلة بين قبول التقنيات الذكية أو رفضها، فهذه الأدوات تفرض نفسها وستصبح في النهاية ضرورية في الحياة اليومية للجميع، لكن المسألة هي في معرفة كيفية إستثمار هذه التقنيات في التعليم، ومواجهة التحديات الأخلاقية الهائلة التي قد تنتج من استعمالها. فالمشكلات الرقمية لم تعد مشكلات ذات طابع تقني فحسب، بل أمست تؤثر في إعداد الطلاب والتطوير المهني للمعلمين.

في تعاملنا مع هذه الإشكالية، نحن في كلية العلوم التربوية في جامعة القديس يوسف في بيروت، ننطلق من مقاربة تقوم على أن التعامل مع التكنولوجيا يجب أن يتمحور حول الإنسان، والحفاظ عليه، وعدم إلغائه، والحفاظ على استقلاليته، وذلك باستخدام الاكتشافات التي تساهم في تحسين إعداده على قاعدة التكامل وليس الإلغاء، مع الحرص على مساعدة الأفراد على عدم الاعتماد الكلي على آلات تؤثر على استقلاليتهم. إن تحقيق ذلك لن يكون عملًا فرديًا يقوم به شخص ما أو جماعة ما، بل يجب أن تتضافر جهود المجتمع التعليمي بأكمله ، من إداريين ومعلمين ومتعلمين وأولياء أمور، من أجل وضع إطار مؤسسي لهذه التقنيات حتى لا تعطل كليًا الاستخدامات التعليمية، وأيضًا من أجل مواكبة الأجيال الجديدة أثناء استخدامها هذه التقنيات. وهذا يمكن أن يشجع الطلاب على تطوير كفاياتهم الحياتية والضرورية لعالم الغد، ويشجع المعلمين على إعادة النظر في أساليب التقويم المتبعة، وتقييم التفكير الناقد والتفكر، بما يصب في النهاية في خدمة الإنسان الذي لا يمكن اعتباره وسيلة بل غاية في حد ذاته، وهذا هو جوهر كرامته على وجه التحديد (Kant, 1797).

عميدة كلية العلوم التربوية

البروفسورة باتريسا راشد